

قواعد إستراتيجية لصناعة الغد

شبكة النبا 2020-07-06

(على الذين يتطلّعون للمستقبل ويعملون من أجله، أن يصبحوا قوة فاعلة في وسط المجتمع، تحركهم دائماً باتجاه المستقبل المشرق). الإمام الشيرازي

المستقبل هو كل ما سيحدث في وقت بعد الحاضر. ويعتبر وصوله لا مفر منه، بسبب وجود الوقت وقوانين الفيزياء، ونظراً للطبيعة الجلية للواقع، وحتمية الطبيعة. فإن مفهوم المستقبل والخلود موضوعان رئيسيان في الفلسفة، والدين، والعلم.

للمستقبل مجالات عديدة علمية وسياسية واقتصادية وغيرها، فالكل يرنو إلى المستقبل بعين الطموح، ولم تشهد البشرية عبر رحلتها الطويلة تطلّعا للمستقبل وهوساً به كما يحدث اليوم، فالملاحظ دون أدنى شك أن هناك تسابقاً عالمياً هائلاً، خصوصاً بين الأمم المتقدمة نحو اكتشاف المستقبل بشتى الطرق والوسائل العلمية وفي المجالات كافة.

انطلاقاً من المقولة التي تنص على أن كل من يضمن المستقبل يضمن الحاضر، لذلك هنالك اندفاع هائل باتجاه المستقبل وهذا لن يحدث طوعياً بل لابد من وجود تغيير كبير في أوجه الحياة كافة كي يتم التمهيد لمعرفة المستقبل وما يضمه من أسرار.

التغيير يعني تكييف الأنفس وتطويعها وتعليمها لكي تخرج من دائرة الاعتياد والسائد إلى المغاير الذي يقود الإنسان والأمة إلى منصة الانطلاق لمواكبة العصر بروح قوية فاعلة متوثبة لاقتناص فرص التقدم، وعدم الركون إلى التقليدي، فالتحول من العادي إلى المتطور عملية معقدة لا يمكن أن تحدث بطريقة آلية، بل هناك فعل وجهود ضخمة تسبق هذا التحول وتديم زخمه، إنها القوة الفاعلة التي تُسهّم بطريقة وأخرى في صناعة المستقبل.

الإمام الراحل، آية الله العظمى، السيد محمد الحسيني الشيرازي (رحمه الله)، يقول في كتابه القيم

الموسوم بـ (فقه المستقبل):

(عالماً اليوم يشهد حركة قوية وسريعة نحو المستقبل في كافة أوجه الحياة، وهذه الحركة توجب تغييراً شديداً، فيجب أن نكيّف أنفسنا مع هذا التغيير حتى نمتلك ناصية المستقبل).

يحتاج الأمر إلى استعداد وتمهيد صناعة الغد والإسهام في عملية التغيير، فإن كان الإنسان مستعداً للتعامل مع الغد بتميّز واستقباله برغبة وتطلّع للنجاح، لا ريب سوف يتحقق نوع من التجانس بين الأبعاد الزمنية الثلاثة، فإنسان الحاضر حتى يتغلب على عقبات التحوّل والتغيير، عليه أن يكون مستعداً لاستقبال الغد، وعليه أن يحرص كل الحرص كي يجعل الزمن مترابطاً في سلسلة تجمع بين الحاضر والماضي والمستقبل معاً.

الربط بين الأبعاد الزمنية الثلاث، يضمن سياقاً زمنياً متنامياً، فالانتقال من الحاضر إلى المستقبل لا يجب أن يتم بذريعة إقصاء الماضي، بل الصحيح هو عملية تداخل وانتقال إلى المستقبل بالقوة الفاعلة التي تنطلق من الحاضر نحو المستقبل، ولا تهمل في أي حال الماضي، والخطوة الأهم في هذا السياق هي توافر الاستعداد الفكري والنفسي والعملي لتحقيق القفزة المدروسة والمتوازنة نحو المستقبل المضمون والمشرق.

الإمام الشيرازي يقول:

(على الإنسان أن يكون على استعداد تام لاستقبال الغد والتأثير فيه، والتكيّف معه فيما لا يمكن تغييره، وربطه بالحاضر والماضي حتى لا ينقطع المستقبل عن الماضي والحاضر).

موهبة استقراء المستقبل

هناك ميزة تتوافر في الأفكار التي طرحها مؤلفات ومحاضرات الإمام الشيرازي، تظهر بقوة في ثنايا كلماته المكتوبة أو المنطوقة، هذه الميزة هي موهبة استقراء المستقبل، فقلّما نجد أحد كتبه أو إحدى محاضراته تخلو من قراءة للمستقبل في ضوء معطيات الحاضر وتجارب الماضي،

فالرابط الزمني غالباً ما يقودنا إلى سبل تغيير الحاضر والانطلاق المدروس نحو المستقبل.

وفي هذا الإطار يحدد الإمام الشيرازي بعض الخطوات بالغة الوضوح كي تتحقق عملية الانطلاق من نقطة الحاضر بركيزة الماضي نحو مستقبل متميز، أولى الخطوات هي رصد الاحتمالات التي قد تواجهنا في المستقبل حين نبتغي هدفاً بعينه، لأن عملية الرصد تبعدنا عن المفاجآت غير المحسوبة، وبالتالي تجعلنا في مأمن من التعثر والتراجع إلى الوراء.

بعد خطوة الرصد التي لا بد من أن تتم وفق مواصفات الدقة والعلمية التامة، ستعقبها خطوة لا تقل عنها في الأهمية، ونعني بها خطوة أو عملية التخطيط، فلكي تنجز هدفك لا يكفي أن ترصد الحثيات والتفاصيل والمعوقات، هذا وحده لن يقودنا إلى عملية انتقال سليمة نحو مستقبل زاهر، فالخطوة التالية ستجعل من عملية الانتقال مضمونة ونقصد بها التخطيط الذي بدونها لا فائدة بخطوة الرصد السابقة، ولا أمل بالقفز من حاضر تقليدي إلى مستقبل نافر ومغاير للسائد.

يدعم الخطوتين الأولى الرصد، والثانية التخطيط، خطوة ثالثة هي اتخاذ القرارات الصائبة التي يقوم بها رواد الأمة وعلمائها ومبدعوها في المجالات كافة، بهذه الطريقة وهذا الأسلوب العلمي المدروس سوف يأتي البناء متكاملًا، وضمان المستقبل هدفاً محسوماً.

أهمية القرارات الصائبة لرواد الأمة

يقول الإمام الشيرازي في المصدر نفسه: (مواكبة المستقبل تتم: عبر رصد الاحتمالات، والتخطيط السليم، والقرارات الصائبة التي يتخذها رواد الأمة وعلمائها في مختلف الاختصاصات، في الهندسة والطب والزراعة والصناعة حتى يأتي البناء متكاملًا من حيث تكوينه).

الناس مختلفون في تطلعاتهم ورؤيتهم للمستقبل، فهناك من لا تعنيه هذه الكلمة ولا يبحث في معناها وما مدى أهميتها، إنه أصلاً لا يمتلك حساسية تجاه الغد، وهو بذلك يعيش أيامه كلها سواسية، وهؤلاء ينطبق عليهم قول الإمام علي عليه السلام (من تساوى يوماه فهو مغبون)، ولكن هناك من هو شديد الحساسية تجاه الغد، وهو ينظر إلى المستقبل باهتمام، ويسعى بكل السبل

المتاحة كي يوظف كل العوامل حتى ينتقل إلى مستقبل لا يقل جودة عن الأمم الأخرى.

هذا الاستنتاج الواقعي يحتم على من يهمل المستقبل وتعيه هذه المفردة من حيث اللفظ والمعنى والفعل، أن يبحث عمّن يتشابهون معه في التطلع، وأن يتجمعوا معاً في قوة فاعلة تمتلك القدرة الحتمية على القفز إلى المستقبل من خلال تحريك كل عوامل ومحفزات التحرك نحو مستقبل باهر، وحين يحدث هذا النوع من التآزر بين الذين تتجه بوصولهم نحو المستقبل، فإن الهدف المرسوم سوف يكون في دائرة التحقق، ويحدث نوع من الحث والتأثير حتى على غير العابئين بالمستقبل، فيصبحوا أكثر انشغالا به، وبالتالي تتشكل قوة فاعلة في المجتمع تندفع نحو مستقبل مشرق.

يقول الإمام الشيرازي: (على الذين يتطلعون للمستقبل ويعملون من أجله، أن يصبحوا قوة فاعلة في وسط المجتمع، تحركهم دائماً باتجاه المستقبل المشرق).

إن القوة الفاعلة لامتلاك ناصية المستقبل، قطعاً تتكون من أصحاب العقول الكبيرة والمواهب الخلاقة والإرادات القوية وذوي النظرات الثاقبة، هؤلاء هم من يصنع المستقبل بما يمتلكونه من مزيج متجانس من العلوم والآداب والإرادات القوية والعقول الطامحة للتغيير والعاملة في هذا الاتجاه تخطيطاً وتنفيذاً، وهؤلاء هم من يفكك مغاليق المستقبل ويجعلونه ظاهراً أمام الآخرين، فيُصبح العامة على معرفة بالمستقبل وخواصه وأسرارهم ومزاياهم أيضاً، فيمضون إليه بثبات وإيمان وجرأة تنتهي بهم إلى الاستعداد التام للمضي قُدماً.

يقول الإمام الشيرازي حول ذلك: (هؤلاء هم القوة الفاعلة، حيث يُصنع المستقبل من خلال رؤيتهم الثاقبة لما سيجري في الغد، ومن خلال دفعهم المتواصل للأمة بهذا الاتجاه. فهم يُطلعون الأمة على ما سيجري في المستقبل، فتتكيّف الأمة على نحو تستطيع امتلاك ناصية المستقبل بإذن الله تعالى).

خلاصة الأمر، يركز الإمام الشيرازي في كتابه (فقه المستقبل) على حتمية وضع إستراتيجية واضحة المعالم ودقيقة الأهداف وممكنة التحقق، عبر عملية بنائية متخصصة تراكمية يتصدى لها علماء الأمة ومفكروها بمشاركة وإقدام النخب المختلفة، لتحقيق الهدف الأهم وفق رؤية الإمام

الشيرازي، وهو حيازة المستقبل، وهو هدف رغم صعوبته إلا أنه قابل للتحقق فيما لو كانت إرادة الأمة حاضرة بإصرار وقوة وتخطيط عالٍ.